في مكتبة القصة

القصة في الأدب الفارسي

تأليف : د. أمين عبد المجيد بدوى

نقد وتقديم : محمود تيمور

لا ننكر أن أهل الشرق ، على ما بين أممه من صلات عزيزة ، وأعراق وثيقة ، لا يتبادلون المعرفة الكافية بأنواع الأدب الشرقى ، لا من حيث الماضى فى مداه البعيد ، ولا من حيث الحاضر فى واقعه القريب • فخليق بنا أن نرحب بدراسة أدب الشرق ، على اختلاف مواطنه الدانية والقاصية ، ولا سيما حين يتجرد لهذه الدراسة علماء أكفاء ، أعدوا أنفسهم لها خير اعداد ، فأتقنوا من اللغات الشرقية ما يعينهم على الاطلاع ألوافى ، والتقدير الدقيق ، وما يطمئنهم الى أنهم يستخلصون نتائج البحث بفضل التعرف والتذوق ، لا من طريق النقل والتعويل على الغير •

ومن أخص ما تجب العناية به من أنواع الأدب الشرقى دراسة القصة ، فان للشرق فيها جهودا مأثورة ، على تعدد ألوانها بين منثور ومنظوم ، وفى عصرنا الحاضر الذى ازدحمت فيه الحياة الأدبية بالقصة الغربية الحديثة العهد ، ما أحوجنا الى أن نقف على تاريخ القصة الشرقية فى العصور المواضى ، ففى وقوفنا على تاريخها سبيل الى أن نستبين المصادر والأصول التى لا يسع مفكر أن يجحد أثرها فى عقولنا وفى نفوسنا ، ونحن نكتب القصة ، من حيث ندرى ومن حيث لا ندرى •

لا عجب اذن فى أن المكتبة العربية حرية أن تحتفى باستقبال تلك الدراسة التى طالعنا بها اليوم الدكتور « أمين عبد المجيد بدوى » ، وجعل موضوعها «القصة فى الأدب الفارسى » • وانها لدراسة تضع فى الاعتبار الأول كل مقومات البحث العلمى الدءوب غير العجول ، وقلما تتوافر هذه المزية فيما توالينا به المطبعة من كتب تحمل اسم البحث : وتتخذ مظهر الدرس ، وحظها فى الحق منهما قليل •

بدأ المؤلف دراسته من حيث بدأ الفرس القدامى ينتجون أدبا ، وعرض لمكان القصة من ذلك الأدب على مراحل العصور ، ثم أخذ يدرس فى تؤدة ألمع جوهرة فى أدب الفرس الاسلامى ، وهى « شاهنامة الفردوس » ، فقد فسح لها أكثر من مائة

صفحة ، هى ربع الكتاب ، ثم مضى فى دراسة الحكاية الفارسية على تنوع أشكالها ، وكانت الخاتمة تراجم لأعلام القصص الفارسى ٠

والمؤلف لا يترك ناحية من نواحى الموضوع ، ولا جزئية من جزئيات البحث ، الا سلط عليها أضواء التحقيق والتمحيص ، ينفى أو يثبت ، ويؤكد أو يستريب ، ويأبى أن يسجل شيئا الا وقد اطمأن فيه الى قرار ، غير مقتصر فى مصادره على نطاق محدود ، فهو حين يركن الى المصادر الفارسية فى لغتها الأصيلة ، متخذا منها أساسه الوطيد ، لا يغفل جهود الباحثين ، شرقيين ومستشرقين ، فى شتى لغات الشرق والغرب ٠

ويلخص لنا المؤلف عمله فى قوله :

« وقصارای أن أقول : انى حددت معالم القصة الفارسية فى وضوح ، لا يشوبه غموض ، ونفضت عن أدرانها ما بصرت به من ضلالات الأخطاء الشائعة والأوهام ، وأعدت كتابة تاريخ الملحمة الفارسية بالغة ذروتها فى « شاهنامة الفردوس » مجردا من التناقض والاضطراب ، فجنبت الباحث الضرب فى شعاب ومتاهات ، ويسرت له الوقوف منها على معالم بارزة يتخير أيها شاء ٠٠٠ »

واذا كان المؤلف قد صرح بأنه أمضى عشر سنين فى حبكه لتلك الدراسة فليس من ريب فى أن القارىء المتمعن سيدرك أن ذلك التصريح لم يكن من المؤلف مجرد دعوى ، وأنه لم يمض هذه السنوات العشر عبثا دون جدوى ، فتلك آثار الكد والجهد واضحة فى طريق الدراسة على تعاقب مراحلها من فصل الى فصل ، بل من سطر الى سطر ٠

وقد نجح المؤلف نجاحا ملحوظا فى أنه جعل من العسير على المتعقب أن ينقده فيما عمل ، ولكن لعله أتاح له أن يجد السبيل ميسورا الى نقده فيما ترك ٠٠٠ فهو فى مقدمته يقول :

« وقصرت بحثى هنا على القصة الفارسية ذات الطابع القومى المميز لها عن سواها ، وضربت صفحا عن التعرض للقصة المعاصرة فى الأدب الفارسى ، لأنها بحكم مقوماتها الفنية وأهدافها ـ قصة وافدة ، ذات طابع غربى لا يقوى على اخفائه تمويه ، ولا يمكن القول بأنها فارسية لمجرد رسم خطوطها فى البيئة الايرانية ، الا اذا جاز لنا أن نسمى أبنيتنا وأزياءنا الحديثة وسائر مرافقنا ومقومات حياتنا العصرية التى قبسناها من الغرب مصرية لخلقها بأيد مصرية ومن خامات مصرية وفى أرض مصرية » ٠

ولو أن الاستاذ المؤلف أخلى مقدمته من هذه الفقرة ، لما كان لنا عليه من سبيل، فحسب كتابه أن يؤرخ للقصة الفارسية فى عصورها الخوالى ، وله أو لغيره من بعده أن يستأنف الدراسة لقصة الفرس فى العصور التوالى ، ولكنه أبى الا أن يرسله رأيا حاسما ، وحكما جازما ، وهو أن القصة المعاصرة فى الأدب الفارسى ليست فارسية ، ومن ثم ضرب عنها صفحا ٠

ذلك رأى ننكره عليه . وحكم نراجعه فيه ، لأنه يتصل بقضـــية جوهرية فى معنى الأدب القومى ٠

أفى الحق أن القصة تفقد قوميتها ، ونسبتها الى وطن كاتبها ، اذا كانت من حيث القالب والمنهج الفنى فى المعالجة والصياغة ترجع فى أصولها الى قومية أجنبيـة ووطن خارجى ؟ ٠

وكيف نفرد القصة الفارسية المعاصرة بهذا الحكم ، ونقصر عليها هذا الرأى ، دون أن نعممه بحيث يشمل القصة الفارسية على مدار العصور منذ نشـــأة الأدب الفارسى بوجه عام ؟ ٠

ان البحث فى أصول الفن القصصى عمل نقدى تاريخى لمن يدرس نشوء الفنون الأدبية ومراحل تطورها وخطوات التجديد فيها ، ومصادر ذلك كله فى الشرق أو فى الغرب ، ولكن القصة تكتسب نسبتها الى قومية كاتبها بغض النظر عن تلك المصادر والأصول ، فالقصة ايطالية أو انجليزية أو فرنسية بأن كتابها ، من الطليـــان أو الانجليز أو الفرنسيس ، صوروا فيها بيئاتهم وخصائص أممهم ، أو استمدوا أحداثها من أوطانهم ، أو عبروا فيها عن ذات أنفسهم ولون استجابتهم للحياة من حولهم ، أو نفضوا فيها مشاعرهم الانسانية التى تأثرت بما يحيط بهم من أحوال وملابسات واذن : فالقصة الفارسية المعاصرة صحيحة النسبة الى القومية الفارسية ، مادام كتابها قد استلهموا موضوعاتها واحداثها وشخصياتها من بيئات فارسية فى أرض فارسية ومادامو قد ترجموا فيها عن روح قومية تأصلت بوراثات فى مجرى التاريخ الجماعى لتلك الرقعة من الأرض ، وذلك كيفما كان الأمر فى منشأ اكتساب أولئك الكتاب للنمط الفنى فى كتابة القصة من المشرق أو من المغرب ، فى الماضى أو فى الحاضر ٠

ويمكن أن نعرف الأدب القومى بأنه الأدب الذى يتناول حياة جماعة انسانـة خاصة ، مصورا مشكلاتهم الاجتماعية ، صادقا على وجدانهم ونفسياتهم فى اصـالة وعمق ، وبقدر ما يتناول هذا الأدب موضوعات جوهرية لا سطحية ، ويعالج مشكلات تمس صميم الكيان البشرى لا الأحوال الطارئة ، يرتفع مستواه الفنى ، ويبعـد من الادب العالمى الرفيع ٠ وفى ضوء هذا التعريف يقـوم ميزان القصة الفارسـية المعاصرة ، وان كانت من حيث المنهج قصة وافدة ذات طابع غربى ٠

لقد عرض لنا المؤلف فى كتابه تاريخ القصة فى الأدب الفارسى ، باستثناء القصة الفارسية فى العصر الحاضر ، وانما عرض ذلك علينا باعتباره أدبا فارســيا قوميا ، على حين أن فى أنواعه وألوانه ما هو مستمد من أصول أجنبية، أو مستوحى من مصادر خارجية ٠ وكان موقف هذه الانواع والالوان فى الماضى من الآداب العالية السابقة ، هو موقف القصة الفارسية المعاصرة من القصة الغربية الحديثة ، ألم يعرض علينا المؤلف كتاب « كلية ودمنة » ، وهو فى جملته هندى الاصل ، بل هندى النص بل ان نسخته الفارسية لم يعثر عليها ، وما فى لغة الفرس الآن منه هو المنقول عن الترجمة العربية ؟ أو لم يعرض علينا المؤلف كذلك من ألوان القصة الفارســية

« مقامات حميدى » وهى عربية الطراز ، مكانها فى الأدب الفارسى مكان التقليد والمحاكاة ؟ ·

ولو ساغ لنا أن ننفى القومية عن لون من الأدب ، لتأثره فى مقوماته الفنية بنمط خاص ، لما استطعنا أن ننسب أدبا الى قومه ، فما من لون أدبى الا كانت له مراحل من التأثر والاستمداد ،وأطوار التمس فيها أسباب التنمية من هنا وهنالك · فالقصة الغربية نفسها لا تجد بلدا بعينه فى الغرب هو وحده دون سواه مناط قوميتها ، ولكن الأمم الغربية لكل منها اسهام فى صياغة القصة وتطورها على النمط الفنى الحديث ولكل منها قوميتها الخاصة فيما أنتجت من القصص ، متمثلة فيما عبرت به تلك القصص عن روح الأمة وطابعها ونظرتها الى المجتمع والحياة ·

فالقصة الفارسية المعاصرة جديرة بالدرس والبحث ، باعتبارها أدبا فارسيا قوميا ، وان كانت باعتبار مقوماتها الفنية المنهجية قصة وافدة ذات طابع غربى ·

وان وضعها على بساط الدرس والبحث سيجر الى تعرف ما استمدته من القصص الغربية قلبا وقالبا ··· وما عسى أن يكون فى مضامينها من وراثات ترجع الى أدب الفرس القديم ، شأنها فى ذلك شأن القصة المصرية فى الادب العربى المعاصر فهى فى مظهرها الفنى وفى مقوماتها المنهجية قصة غربية الطابع ، ولكنها فى موضوعاتها وفى روحها وفى تعبيرها مصرية ، عربية ، شرقية ·

وما أظن االأستاذ المؤلف الا مستجمعا لوثبة جديدة ، يقدم لنافيها القصة فى الأدب الفارسى المعاصر ، فى ضوء الأسلوب العلمى المكين الذى أرخ به للقصة فى أدب الفرس القديم ·

محمود تيمور